القصة التاسعة والعشرون ـ هجرة روح

نزار الريّس

إنها الرابعة فجرا بتوقيت غزة ...

تحديدا يوم الجمعة

الظلام مازال يغطي سماءنا

والقمر كأنه مختبئ بنصف عين ينظر إلينا بلهفة وترقب

هو وحشد من النجوم كان الجو صافيا ..

وكنت أرتب حقيبتي... ما زلت صغيرا

صلينا الفجر وبعدها أتت سيارة الأجرة التى ستأخذنا إلى طريق المعبر (معبر ايرز) وهو أولى بوابات الدخول إلى القدس وأصعبها حيث أن من بغزة محرم عليهم الخروج منها إلا بعد الثلاثين من عمرهم ...

بحمد الله كانت الأمور تسير بعناية الله ولطفه فهو الذي يعلم ما فينا من شوق للسجود فى أقصاه مسرى نبينا ومعراجه للعلياء ...

بعد أن وصلنا ونزلنا من السيارة كنا نسير بخطى خائفة فعن اليمين سلاح وجنووود وعن الشمال جيبات عسكرية وكلاب بوليسية ...

وصلنا لنقطة التفتيش فوضعنا أمتعتنا للتفتيش واحد الجنود يذهب ويأتي ويتجول حولنا وكأنه يتعمد إخافتنا لكننا لم نظهر الخوف ولم نعره اهتماما ....

انتهت جولتنا فى المحطة الأولى ودخلنا وركبنا سيارة تقلنا للقدس من هناك مررنا بمدن فلسطين الحبيبة شممنا رائحة الشوق هناك بكل شبر نسير فيه تزداد ضربات القلب، لهفتا للمس كل زاوية من زوايا قبة الصخرة والمسجد الأقصى وحتى البيوت العتيقة والكنائس والمرور بأسواقه ورؤية أهل القدس المرابطين حُماة الأقصى- ولأول سجدة على عتباتها ولأول نظرة لقبة المسلمين وقبلتهم ...

الطريق طويل والشوق فاضح يسيل من العيون برقا لامعا نقترب رويدا رويدا ...

حواجز كثيرة مررنا بها على مداخل المدن وخارجهاا نفس المنظر وتفتيش ومحاولات لإعاقتنا فإننا نحاول الوصول لنصلي الجمعة فى مسرى رسول الله عليه الصلاة والسلام أرض المحشر والنشور ...

بعد عناء دام طويلا وصلنا إلى مدخلها كأننا خرجنا من الأرض فى رحلة جوية خارج نطاق العالم منظر مهيب شوق عارم يجتاح القلب القدم لم تعد قوية لحملنا لا أدري أهو خوف ام أن الشوق قد فاق المدى ...

أخذنا نسير وننظر يمينا ويسارا فهنا الكنيسة وهنا المسجد وهنا الأشجار تزين ساحاته وهنا عتباته نصعد إلى قبة الصخرة المشرفة نور لا يشبه نور الصباح الذى نعرفه ولا تلك الشمش التى تشرق عندنا انه عالم لا يشبه عالمنا إنه عالم الروح هى التى تحيا به لانشعر بأجسادنا فأرواحنا هى التى تسير وتطير بنا فى كل مكان ...

كانت أول سجدة على أعتابه خارجا حتى دخلنا وقبلنا زواياه أخذت لكل شيء حولى وكأنى أريد أن أخزن شيئا للذكرى اريد أن املك ذاكرتي من هذا الصرح العظيم حتى اذا ما منعت بعدها من زيارته تكون هذه الذكرى عزائي ...

وبعد أن انتهى يومنا وعدنا إلى غزة مرة أخرى ما كنت أخافه قد حدث وقد منعنا من الذهاب مرة أخرى وكانت ذاكرتي عزائي الوحيد لهذا الشوق العارم للأقصى وللقدس بكل مافيها ...

*****